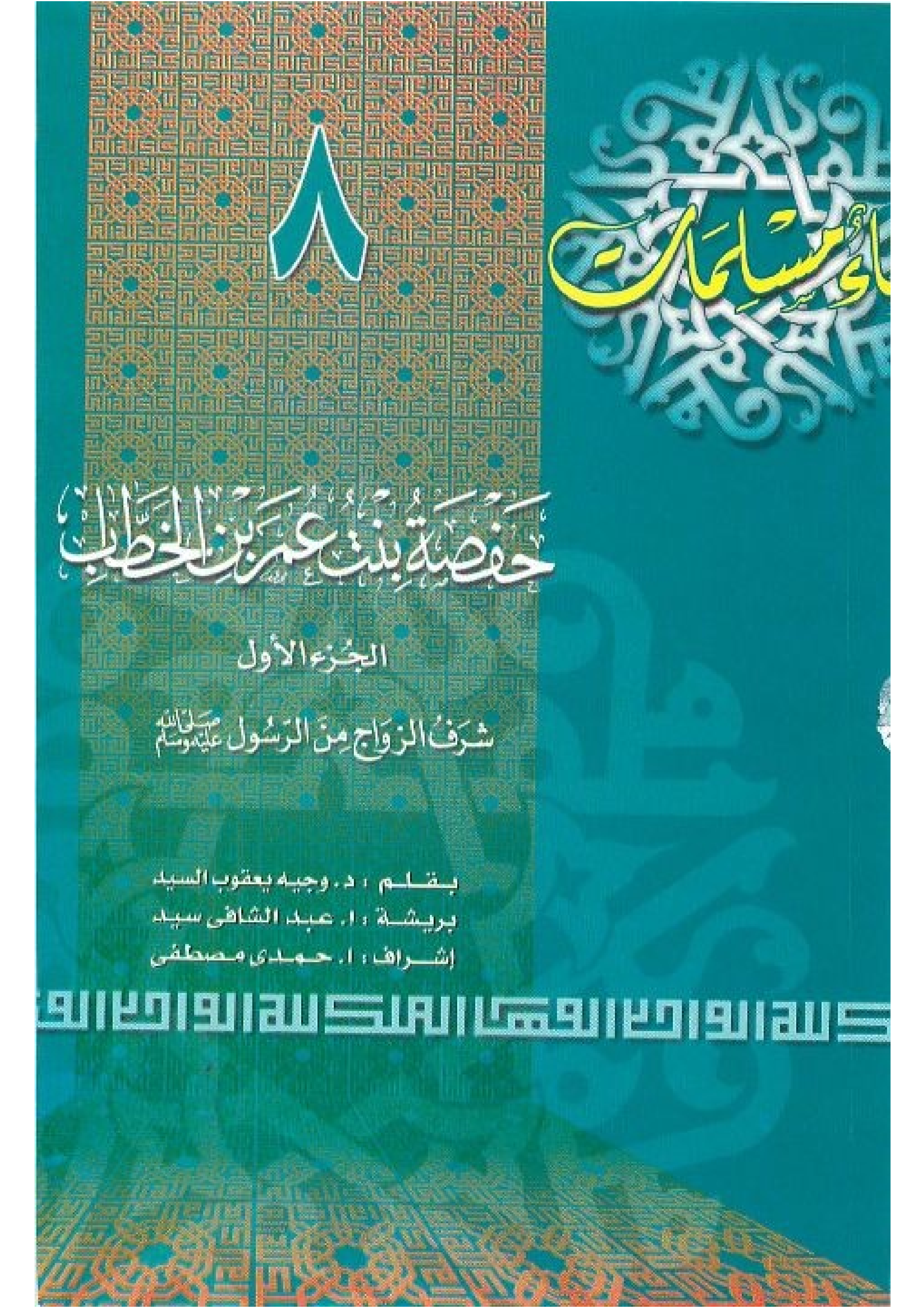

نساء مسلمات
٨
حفصة بنت عمر بن الخطاب
الجزء الأول
شرف الزواج من الرسول صلى الله عليه وسلم
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

مَنْ منا لا يعرفُ (عمرَ بن الخطاب) ، الخليفةَ العادلَ الذى أعزَّ اللَّهُ به الإسلامَ ، وأيَّدَ به رسولَ اللَّه ﷺ ؟

لقدْ كانَ لـ (عمر) رضي الله عنه دورٌ عظيمٌ فى تاريخِ الإسلامِ ، وكانَ إسلامُهُ نصرًا حقيقيًّا للمسلمينَ ، حتى إنَّ الرسولَ ﷺ قالَ :

ـ جاءنى (جبريلُ) حينَ أسلمَ (عمرُ) رحمهُ اللَّهُ فقالَ لى : تباشرتِ الملائكةُ بإسلامِ (عُمَرَ) ، و (عمرُ) سراجُ أهلِ الجنة .

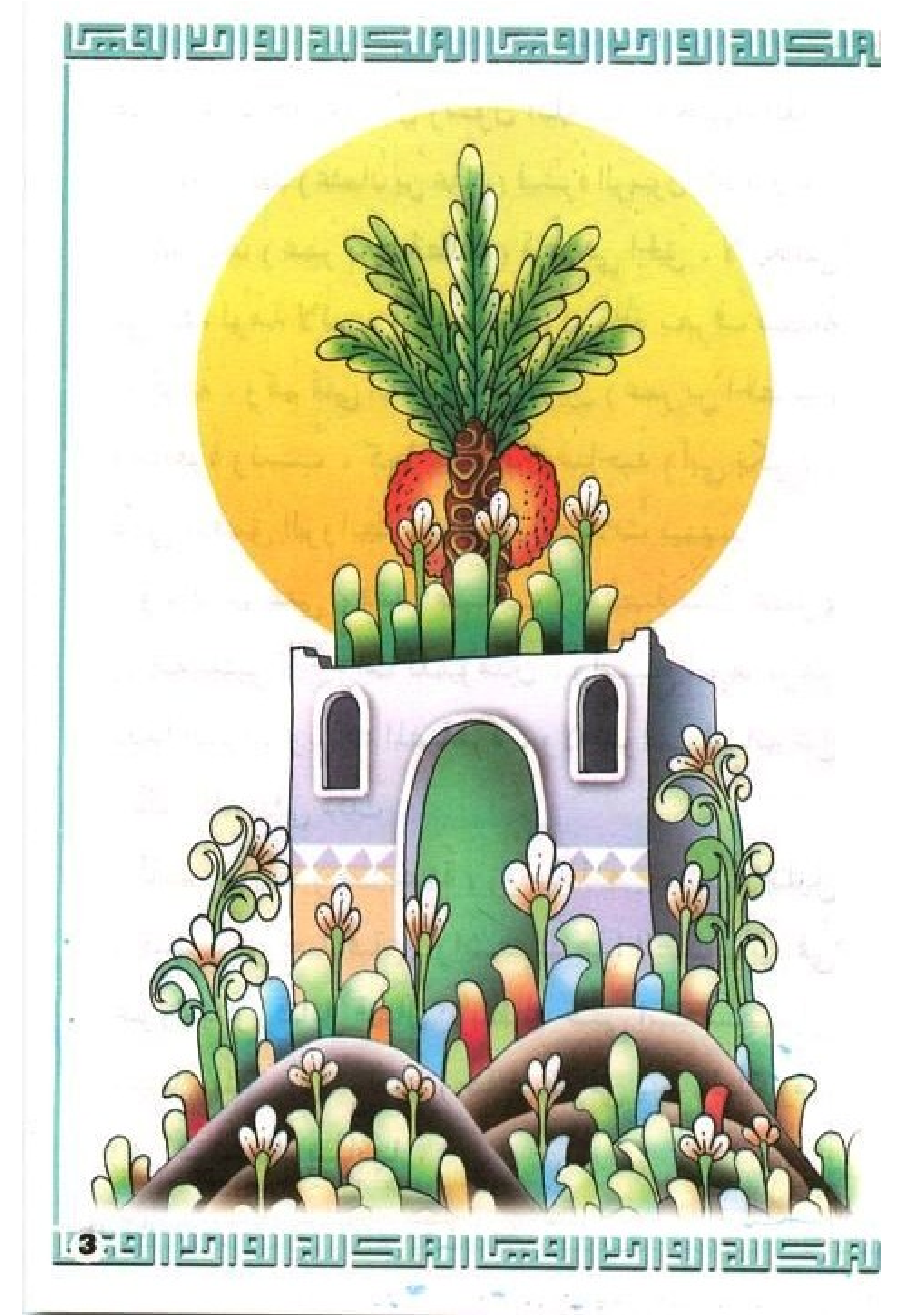
وبينما كانَ النبىُّ ﷺ مع بعضِ أصحابه فى بيت منْ بيوت المدينة ، إذْ طرقَ رجلٌ البابَ ، فقالَ النبىُّ لرجلٍ منْ أصحابه :

ـ افتحْ لهُ وبشِّرْهُ بالجنة .

ففتحَ الرجلُ البابُ ، فإذا هو بـ (أبى بكْرٍ الصديقِ) ، فبشَّرهُ بما قالَ رسولُ اللَّه ﷺ فحمدَ اللَّهَ ، ثم طرقَ رجلٌ آخرُ البابَ ، فقالَ النَّبىُّ ﷺ :

ـ افتحْ له وبشِّرْهُ بالجنة .

ففتحَ الرجلُ البابَ فإذا هوَ بـ (عمرَ بْنِ الخطابِ)



فبشَّرهُ الرجلُ بما قالَ رسولُ اللَّه ﷺ فحمدَ اللَّه ، وجاء بعدَ ذلكَ (عثمانُ بنُ عفَّانٍ) فبشَّرهُ الرسولُ ﷺ بالجنة .

لقدْ كانَ (عمرُ بنُ الخطاب) قويًا فى الحقِّ ، لا يخشَى فى اللَّه لومةَ لائمٍ ، وكانَ الرسولُ ﷺ يعرفُ فضْلَهُ ومكانتَهُ ، وكم تمنَّى أنْ تكونَ بينهُ وبينَ (عمرَ بنِ الخطاب) مصاهرةٌ ونَسبٌ ، كما بينهُ وبينَ صاحبه (أبى بكرٍ) ، لكىْ تتعمقَ الروابطُ ، وتقوَى الصلاتُ بينهما ..

وكانَ ما تمنَّى ، فقدْ أصبحتْ (حفصةُ بنتُ عمرَ) زوجةً للنبىِّ ﷺ وأُمًّا للمؤمنينَ ، وأصبحَ أبوهَا يزهُو بهذَا القُرْبِ وبهذه المصاهرة ، ولا يتوقفُ لسانُهُ عن شكرِ اللَّه على ذلكَ ..

لقدْ كانتْ (حفصةُ) زوجةً للصحابىِّ الجليلِ (خنيسِ بنِ حذافةَ) ، واشتركَ هذا الصحابىُّ فى غزوةِ بدرٍ وقاتلَ قتالَ الأبطالِ حتى استُشْهدَ فى سبيلِ اللَّه ، وأصبحتْ (حفصةُ) فى يومٍ وليلةٍ أرملةً وهىَ فى ريعانِ شبابهَا .

وتألمَ (عمرُ بنُ الخطابِ) ألـمًا شديدًا ، وحزنَ منْ أجلِ ابنَتَه التى ارتدت السوادَ فى الثامنة عشرةَ من عمرهَا . . ومرّتْ بعضُ الشهورِ ، و (حفصةُ) فى بيتها حزينةً تبكي زوجهَا بمرارةٍ ، وفكّرَ (عمرُ بنُ الخطابِ) فى وسيلةٍ تُخرجُ ابنتَهُ من حُزنِها ، وتعصِمُهَا فى



حياتها فلم يجد سوى تزويجها من رجلٍ يرضى دينهُ وخلقهُ .

ولم يتردد (عمر) طويلاً ، فقد ذهب إلى (أبى بكرٍ) ، وعرض عليه الزواج من ابنته ، لكنَّ (أبا بكرٍ) واساه مواساة جميلة ، ولم يجب (عمر) إلى ما يطلبه ، وسكت (أبو بكرٍ) فعرف (عمر) أنه لا يرغب فى الزواج من ابنته .

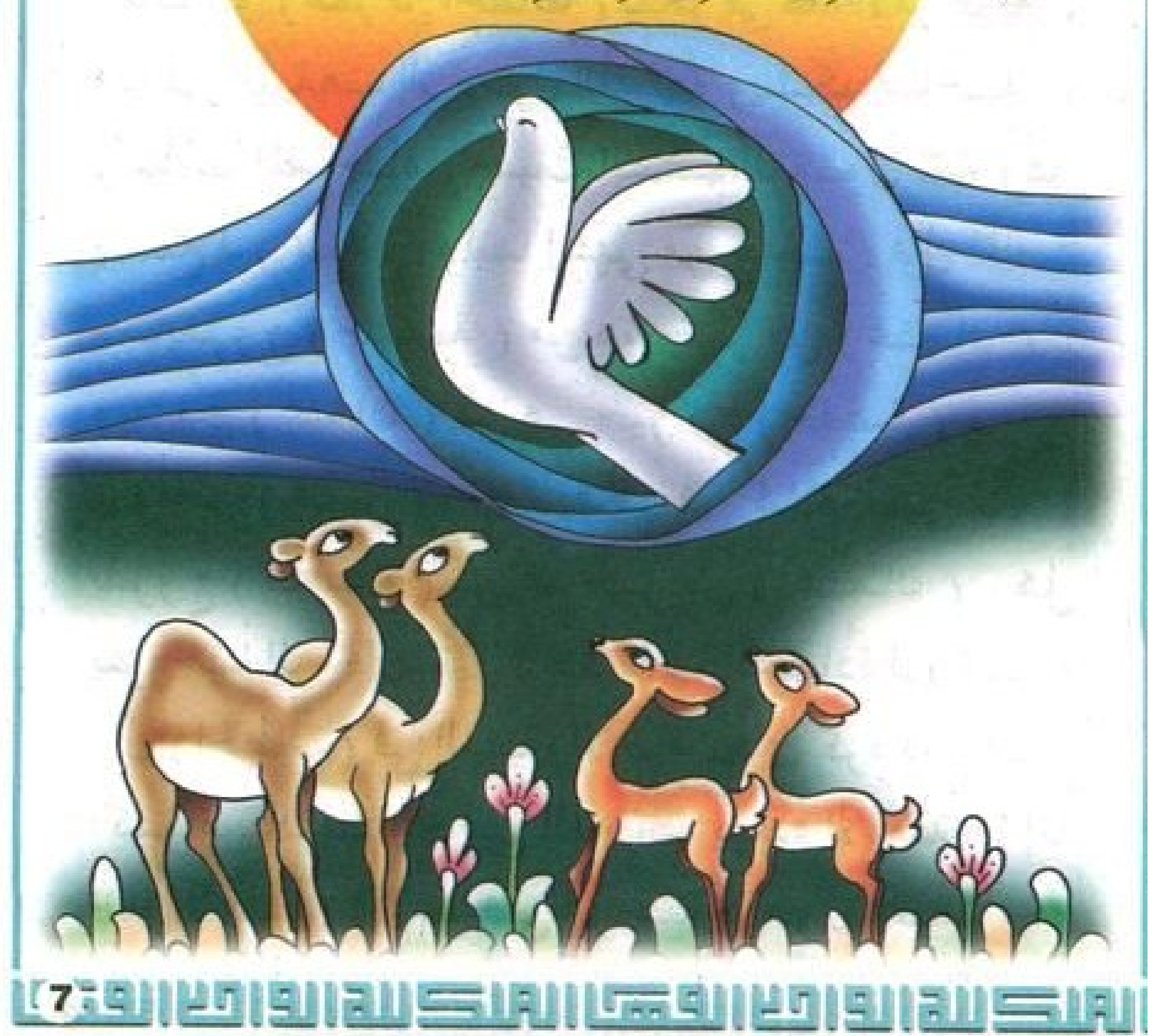
ومضى (عمر) إلى (عثمان بن عفان) ، وكانت زوجته (رقية بنت محمد) ﷺ قد ماتت ، فعرض عليه الزواج من ابنته (حفصة) ، وتوقع (عمر) أن يوافق (عثمان) على الفور ، لكنَّ (عثمان) قال لـ (عمر) :

ـ ما أرغبُ فى الزواج اليوم .

كان (عمر) يبحث عن السعادة لابنته التى فقدت زوجها ومؤنس وحدتها ، وهى لا تزال فى عمر الزهور ، ولذلك فقد التمس ذلك فى المؤمن التقى والرجل الصالح ، الذى يخشى الله ويتقيه ، لكنَّ شيئا من ذلك لم يتم .

لمْ يكنْ عيبًا أنْ يبحثَ الأبُ لابنته عن زوجٍ صالحٍ يحبُّها ويحميها ، فقدْ فعلَ ذلكَ (شعيب) عليه السلام حينَ عرضَ على (موسى) عليه السلام الزواجَ منْ إحدى ابنتيه ، قالَ (تعالى) :

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ



عِنْدَكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة القصص : ٢٧]

وقد اقتدى (عمر بن الخطاب) بـ (شعيب) عليه السلام والتزم بما يدعو إليه الإسلام ، ولكنه لم يعرف سببا حقيقيًا لرفض (أبى بكر) و (عثمان) الزواج من ابنته ، التى يتحدث الناس عن ورعها وتقواها وعبادتها .

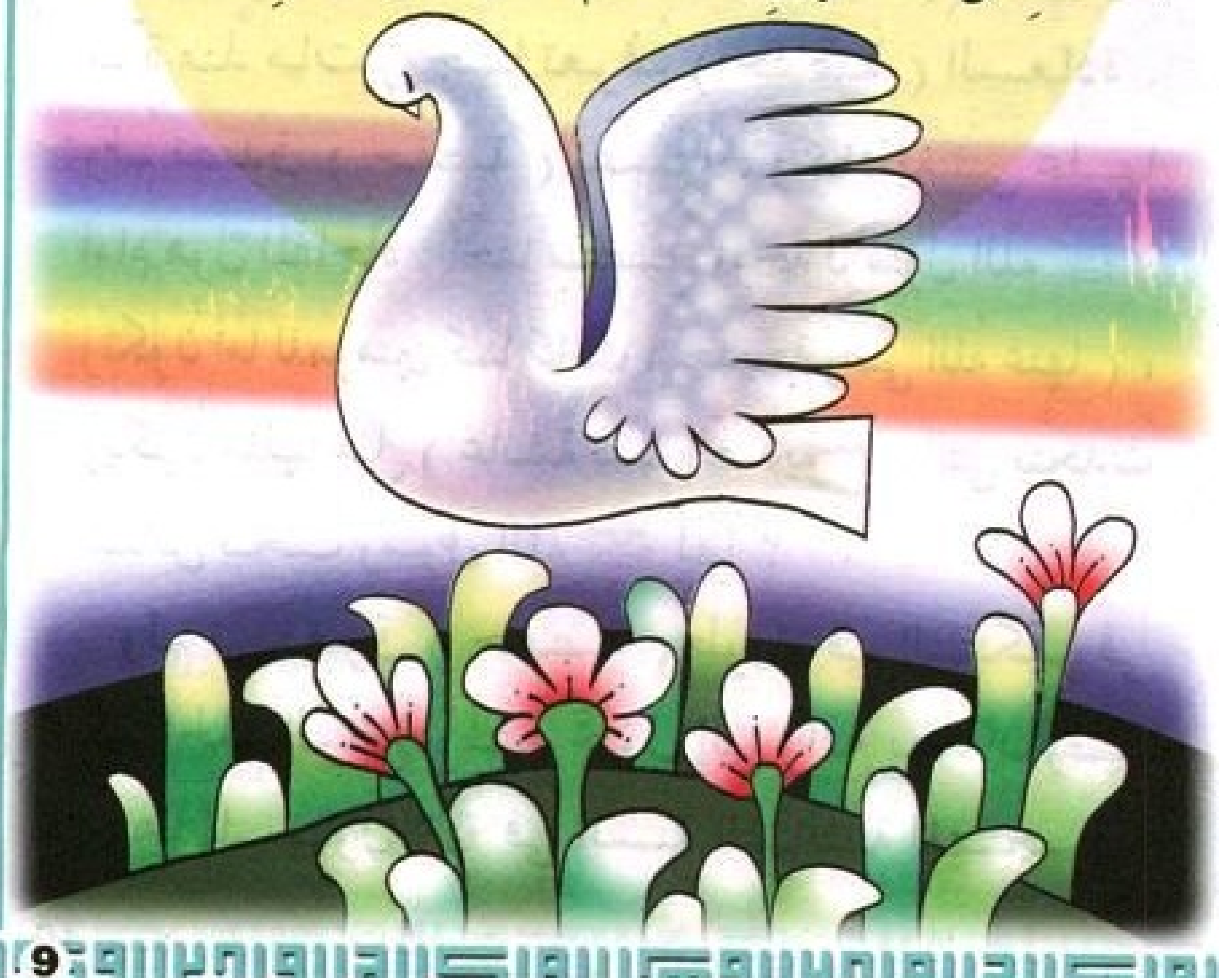
ولم يبق (عمر بن الخطاب) يفكر فى هذا الأمر طويلاً ، فقد قرر أن يذهب إلى رسول الله ﷺ ويشكو صاحبيه .. وكانت المفاجأة ، حيث ابتسم الرسول ﷺ وهو يسمع لـ (عمر) ، ولما انتهى من حديثه ، قال ﷺ :

- يتزوج (حفصة) من هو خير من (عثمان) ، ويتزوج (عثمان) من هى خير من (حفصة) .

وأخذ (عمر) رضى الله عنه يفكر فى كلام النبى ﷺ : يتزوج (حفصة) من هو خير من (عثمان) ، هل يتزوجها الرسول ﷺ ؟ إذن فإنها السعادة لـ (عمر) وآل (الخطاب) فى الدنيا والآخرة ، فأى كرم وأى فضل أكبر من أن يتزوج نبى الله ﷺ بهذه الأرملة !! إنه خلق لا يصدر إلا عن نبى الرحمة ورسول المحبة .

وخرجَ (عمرُ بنُ الخطاب) منْ عند رسولِ اللّه ﷺ متهللاً ويكادُ يطيرُ من الفرحة ، بعدَ أنْ أكرمهُ اللّهُ بمصاهرة رسولِ اللّه ﷺ ، هذه المصاهرة التى ستكونُ سببًا قويًا فى تدعيمِ أواصرِ الصداقة والمحبة بينَ (عمرَ بنِ الخطاب) وبينَ سيد الخلقِ (صلواتُ اللّه وسلامُهُ عليه) .

ولقىَ (أبو بكرٍ) (عمرَ بنَ الخطاب) وهو على هذه الحالة من السرورِ ، فعلمَ أنَّ رسولَ اللّه ﷺ قدْ



أخبـرَهُ برغبـتـه فى الزواجِ من ابنتـه ، فـهنّأهُ علىَ هذا التشريف وقالَ له معتذرًا عنْ موقفه :

ـ لا تجدْ علىَّ يا (عـمرُ) ، ولا يكنْ فى نفسك شىءٌ ، فإنَّ رسولَ اللّه ﷺ ذكر (حفصةَ) ، فلمْ أكن لأُفشى سرَّ رسولِ اللّه ﷺ ، ولو تركها لتزوجتُها .

وأنستِ الفرحةُ (عمرَ) كلَّ شىءٍ ، وقالَ لصاحبه :

ـ لا عليكَ يا (أبا بكرٍ) .

ثمَّ رجعَ إلى ابنتـه ليبشرَهَا بهذه البشرى ، ولأوَّل مرةٍ منذُ ماتَ زوجُها تعرفُ (حفصةُ) السعادةَ ، ولمْ تصدّقْ (حفصةُ) نفسَها ، وكادَ يُغْشَى عليها أمامَ هول المفاجأة : أحقًّا ستصبحُ زوجةً لرسولِ اللّه ﷺ ، وتكونُ أمًّا للمؤمنين كما كانتْ (خديجةُ رضىَ اللّهُ عنها) ، ويكونُ مثلها مثلَ (عائشةَ بنت الصدّيق) ، التى يتحدّثُ الناسُ بحبِّ رسولِ اللّه ﷺ لها ؟

ولم تستغرقْ (حفصةُ) طويلاً فى التفكير فى هذا الحلمِ الرائعِ ، فقدْ تحولَ إلى واقعٍ بعدَ أنْ زفَّها أبوهَا للرسولِ ﷺ فى السنة الثالثة للهجرة ،

وسَرعانَ ما استقبل بيتُ النبيِّ ﷺ زوجةً صالحةً ،
صارَ لها مكانتُهَا في حياةِ النبيِّ ﷺ بمرورِ الوقتِ ،
وتحدّثَ المسلمونَ بإعجابٍ عنْ هذا الزواجِ المباركِ
والحكمة منهُ وقالوا :
ـ لقدِ اختارَ اللَّهُ لهم جميعًا : فكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ



لـ (حفصةَ) خيراً من (عثمانَ) ، وكانتْ (أم كلثومٍ) بنتُ رسولِ اللَّه ﷺ لـ (عثمانَ) ، خيراً من حفصةَ !

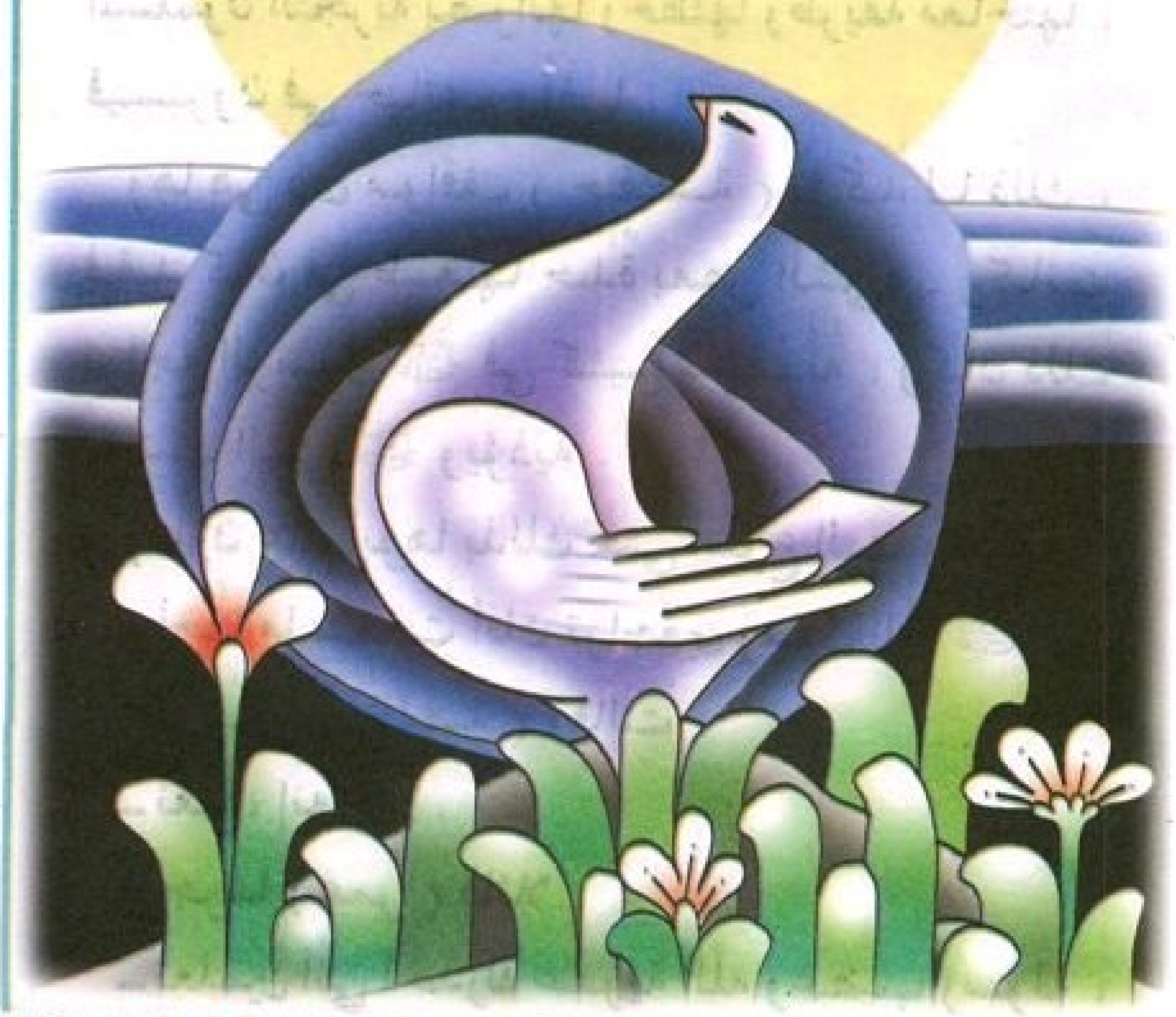
وتزوّجَ الرسولُ ﷺ من (حفصةَ) ، ورأى المسلمون في هذا الزواجِ تكريمًا لـ (عمرَ بنِ الخطاب) ، حيثُ أنعمَ اللَّهُ عليه بهذه الصلة من رسولِ اللَّه ﷺ ، كما أنعمَ على صاحبه (أبي بكرٍ الصديقِ) من قبلُ ، حيثُ تزوّجَ الرسولُ ﷺ من ابنته بوحيٍ من اللَّه لحكمة لا يعلمُها إلا اللَّهُ .

كما كانَ في زواجِ الرسول ﷺ من (حفصةَ) تكريمٌ لها وتشريفٌ ورفعةٌ لشأنها حيثُ صارتْ (حفصةُ) من أمهات المؤمنينَ .

كانَ هذا الزواجُ إضافةً إلى بيت النبوّة ، فقدْ قامتْ (حفصةُ) بواجبها تجاه رسولِ اللَّه ﷺ على أكملِ وجه ، فقدْ كانَ النبيُّ ﷺ يقضي أكثرَ وقته في الدعوةِ إلى اللَّه والتعريف بالإسلامِ ، وتعليمِ الصحابة أصولَ الشريعة ، وكانتْ زوجاتُ النبيِّ الطاهراتُ يعملنَ على راحته ويساعدْنَهُ في هذا العملِ المضْني

الشاقَّ ، حيثُ كنَّ يحفظْنَ ما يقولهُ ، ويشرحْنَهُ للناسِ .

وكانتْ كلُّ زوجةٍ تقومُ بذلكَ على خيرِ وجهٍ ، فتنقلُ للمسلمينَ تعاليمَ الرسولِ ﷺ ووصاياهُ ، وخاصةً ما يتعلقُ بفقهِ المرأةِ وما يتصلُ بأحكامِ النساءِ ، ولمْ تكنْ كلُّ هذهِ الأشياءِ هي الحكمةَ الوحيدةَ منْ زواجِ النبيِّ ﷺ ، فقدْ أرادَ اللَّهُ (تعالَى)



أنْ يربِّىَ المسلمين تربيةً فعليةً وعمليةً، على ضوْءِ ما يحدثُ فى بيت رسولِ اللَّه ﷺ .

فقدْ حفلَ بيتهُ بالعديد منَ الأحداث ، هذه الأحداثُ صنعهَا بشرٌ وكانوا هم أبطالَهَا ، وقَدْ تضمنتْ هذه الأحداثُ الصوابَ والخطأَ ، كما ظهرَ من خلالها منهجُ السماء فى معالجة هذه الأحداث ، ومنْ ثَمَّ يرَى المسلمونَ التجربَةَ بصوابِها وخطئها وطريقة معالجتها ، فيسيرونَ فى حياتهم وفْقَهَا .

وها هى ذِى مواقفُ (حفصةَ) تؤكِّدُ لنَا ذلكَ ، فقدْ كانَ فى طَبْعها حدَّةٌ بعضَ الشىء ، وكانت تراجعُ الرسولَ ﷺ فى كثيرٍ مما يقولُهُ ، وكانَ ذلكَ يُغضبُ النبىَّ ﷺ ويؤذيه .

وما إنْ علم أبوها بذلكَ حتى أسرعَ إليهَا وسألَهَا :

ـ أحقًّا ما سمعتُ أنك تراجعينَ رسولَ اللَّه ﷺ ؟

فلم تنكرْ (حفصةُ) وقالتْ :

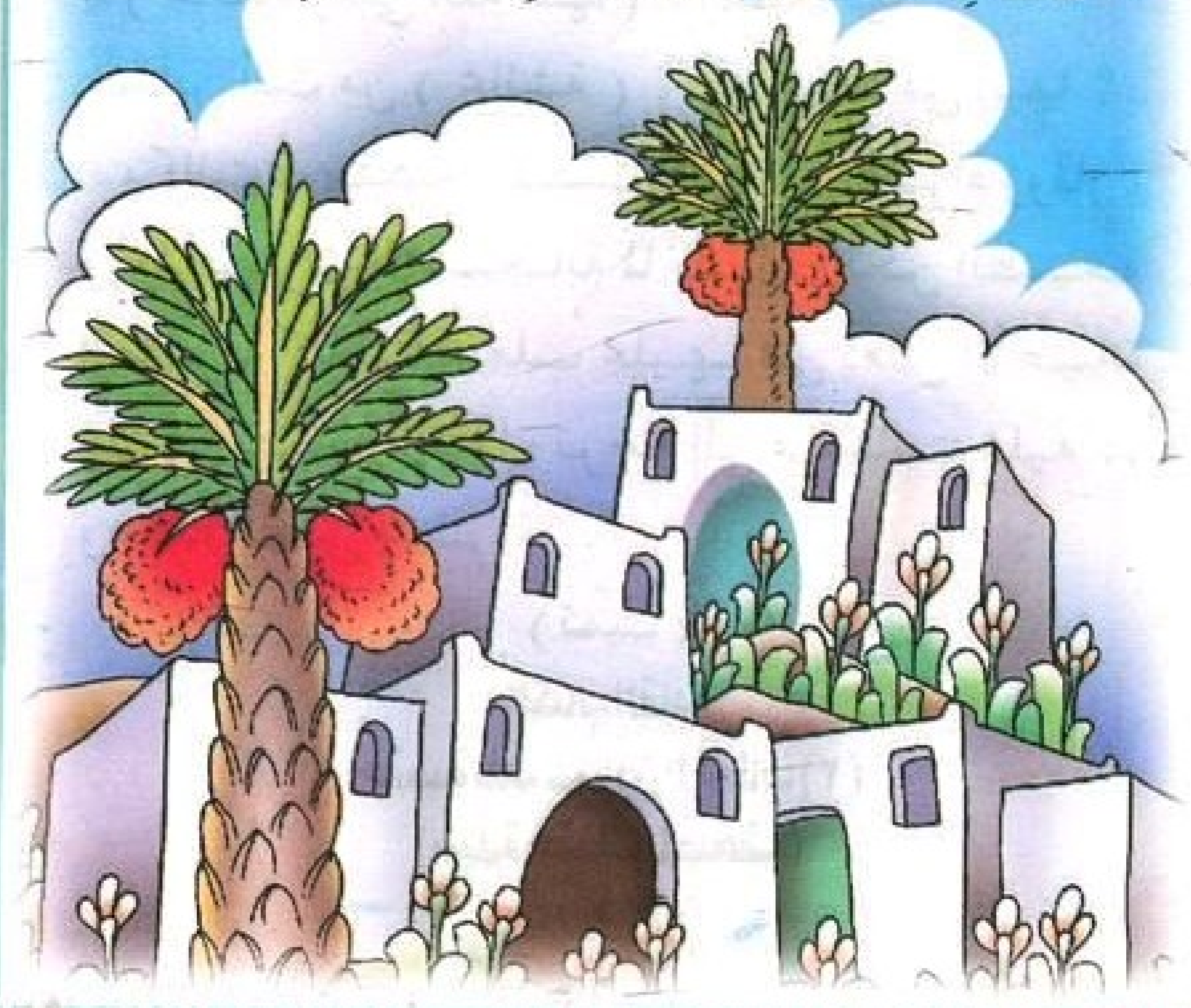
ـ نعمْ ، إنهُ حقٌّ .

فزجرهَا (عمرُ) قائلاً :

ـ تعلمينَ أنِّى أحذرُكِ عقوبةَ اللَّه وغضبَ رسوله ،

يا بنيَّةُ لا يغرَّنك هذه التى أعجبَها حسْنُها وحبُّ رسولِ اللَّه ﷺ إياها ، واللَّه لقدْ علمت أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ لا يحبُّك ، ولولا أنا لطلقَك .

وعلى الرغمِ من قسوةِ كلامِ (عمر) ، إلا أنهُ كانَ يقومُ بواجبه كمؤمنٍ حريصٍ على إرضاءِ اللَّه ورسوله ، وكوالدٍ يقومُ بدوْرِه فى توجيه أبنته وإرشادها لكىْ تقوم بواجبها نحوَ زوجِها وتحرصَ على إرضائه بأىِّ ثمنٍ .



وكـانَ (عـمـرُ بنُ الخطابِ) يضـعُ الحقـيـقـةَ أمـام عيني ابنته ، فإذا كـانتْ (عـائشـةُ رضي اللَّهُ عنهـا) لها أسلوبُها وطريقتُها في التعاملِ مع رسولِ اللَّه ﷺ ، فلا يجبُ أنْ تقلِّدَها (حفصةُ) ، لأنَّ مكانةَ (عائشة) في قلبِ النبي ﷺ أكـبـرُ من كلِّ مكانة ، ومكانةُ أبيهَا عندَ النبي ﷺ أكبرُ من مكانة سائرِ الصحابة ، لذلكَ كـانَ (عـمـر) ينصحُ ابنتـه بعدمِ التشبُّه بـ (عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها) ، ويقولُ لها :

ـ أينَ أنتِ من (عائشةَ) ، وأينَ أبوكِ من أبيهَا ؟

وكانتْ (حفصةُ) تنصتُ لأبيها في احترامٍ ووقارٍ ، وربما أظهرت الاستجابةَ لما يقولُ ، لكنَّ الطبيعةَ البشريةَ كانتْ تتغلبُ عليـهـا في بعضِ الأحيـان وتنسى نصائحَ أبيهَا وترجعُ إلى ما كانتْ عليه .. وهكذا النفسُ البشريةُ ..

(تمَّتْ)

الكتاب القادم

حفصة بنت عمر بن الخطاب (٢)

(سيدة حفظت المصحف)

رقم الإيداع : ٣٦٤١/٢٠٠١
الترقيم الدولي : ٦ ـ ٥٧٨ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧